فى مقـــالين:

حل حاسم لمشكلة الأزهر، ومستقبل الجامعة الأزهرية

للأستاذ محمود أحمد الغمراوى

شيخ معهد دسوق والزقازيق سابقا

...أما بعد، فقد قرأت ما كتبتم فى العدد رقم ٦٦٦ من مجلة « الرسالة » إلى مشيخة الأزهر ووزارة المعارف من حل حاسم لمشكلة الأزهر، وما كتبه حضرة الأستاذ عباس محمود العقاد فى العدد رقم ٦٦٧ عن مستقبل الجامعة الأزهرية، فوجدتكما ترميان إلى غرض واحد يستوقف النظر ويدعو إلى التأمل.

وقبل التحدث أقدم بين يدى الحديث إلى حضرتى الأستاذين شكرا خالصا لعنايتهما بأمر الأزهر وبحث أدوائه ودوائه فى وقت شغل فيه المنسوبون إلى الأزهر بالتافه من شئونهم، غير مكترثين لما يكتنف الأزهر من خطر، ولا ناظرين إلى ما يهدد وجودهم ووجوده من بلاء واقد، وخطب راصد، وموت حاصد.

وإن فى عناية الأستاذين الكبيرين بالبحث فى مستقبل الأزهر وحل مشكلته، قياما بحق تقتضاه من كل ذى شعور كريم مكانة الأزهر التاريخية، وقيامه بحفظ الشريعة واللغة العربية زهاء ألف عام، فاستحقت مصر بذلك تقدير الأمم الإسلامية وأن تكون زعيمة الأمة العربية. وفى هذه العناية من جانب الأستاذ الزيات خاصة وفاء واعتراف بما للأزهر من صلة وثيقة بفنه البارع وأدبه الرفيع، وبما يدين به قلمه العربى الفصيح من بلاغة وحسن إلمام امتاز بهما على الأقلام؛ فتى قنة الأزهر نبتت شجرته، ومن ماء مزنه ارتوت نبعته، ومن عودها كانت قصبته. وإذا كان رجل الفن من أغير الناس على فنه، وأحرصهم على خلود مدرسته، فأكبر ظنى أن الأستاذ الزيات حين تقدم إلى مشيخة الأزهر ووزارة المعارف بما تقدم به من علاج رأى أن فيه حلا حاسما لمشكلة الأزهر، كان ثائرا من أجل الأزهر لا عليه، وغاضبا مما يجرى فيه من الأحداث وحواليه، وإلا فما أظن طبيبا يتقدم لطب مريضه بدواء قاتل يرديه، ولا أحسب ابنا بارا يريش سهمه لثقفه ويرميه فيصميه. ومن أجل ذلك يطمع الأزهر أن يراجع الأستاذان الرأى فيما كتباه عن مستقبله وحل مشكله، فقد يجدان لونا آخر من العلاج يكون فيه للأزهر الشفاء والعافية فيوافيان به القراء إن شاء الله.

* * *

اتفقت كلمة الأستاذين على أن غاية الأزهر أن يفقه الناس فى الدين وفيما تفرع من أصوله من شتى العلوم؛ وأن سبيله إلى هذه الغاية أن يعلم اللغة وما اتصل بآدابها من مختلف الفنون. فالدين واللغة هما علة وجوده، وجوهر علمه، وثمرة عمله؛ وأنه لهذا ولكونه أقدم جامعة فى العالم بأسره تكون الأمة ذات الشأن الأول فيه حقيقة بأن تحافظ عليه وتستديم بقاءه وازدهاره.

واستشرف القارىء، وأذن لما يرد بعد هذا القول لعله يسمع رأيا نافعا، أو يرى علاجا ناجعا، يطب الأزهر فيشفى داءه، ويرجع إليه العافية ويكفل بقاءه، حتى يرى الأزهر قد تشامخ بناؤه، وعمر فناؤه، وصفت سماؤه، وطاب وِرده وماؤه، وحيّ أمله وقوى رجاؤه، وازدحمت بالوافدين عليه لطلب العلم أرجاؤه، وتجاوبت بالعلم فى جوانبه أصداؤه.

ولكننا لم نجد بعد البيان الذى مهداه، والقول الذى قدماه، سوى مهام تصوب، وسنان تحرّب، وقد شمر الراميان عن ساعديهما، وكشفا عن ساقيهما ينتضلان، والأزهر بينهما كدريئة تتناثل إليها السهام، تارة من عن اليمين ومرة من الأمام، مسددين إليه الرماية، يرميان جاهدين إلى غاية!

أما الغاية فهى:

١ — أن يلغى التعليم الابتدائى من جميع المعاهد الدينية ليلحق بمقاليده إلى وزارة المعارف تُلزمه وتقسمه وتعممه على الوجه الذى تراه، وذلك بدء الوحدة الثقافية بين أبناء الأمة.

٢ — أن تجعل المعاهد الدينية فى القاهرة وفى الأقاليم مدارس ثانوية يدخلها حاملو الشهادة الابتدائية العامة وتعلم فيها اللغات والرياضيات والآداب والعلوم على منهج وزارة المعارف. وفى أول

السنة الثالثة منها يتجه طلابها اتجاهين على حسب مرادهم واستعدادهم : إما اتجاها إلى الدين وعلومه ، وإما اتجاها إلى اللغة وفنونها ...

٣ — أن يقتصر فى التعليم الجامعى فى الأزهر على كليتين اثنتين: كلية أصول الدين وتندمج فيها كلية الشريعة ، وكلية اللغة وتندمج فيها كلية اللغة العربية ودار العلوم وقسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعتى فؤاد وفاروق ، ويشترك الكليتان فى الدراسة العميقة للفتين العربية والافرنجية ، كما تنفرد كلية الدين بتاريخ الأديان السماوية والأرضية ...

ويقول الأستاذ العقاد : إنه لا يرى من جانبه ما يخالف فيه الأستاذ الزيات قبل الدخول فى التفصيلات التى تعرض عند البحث فى تقسيم الكليات ، وفى مدة التعليم التى يحتاج إليها الطالب الجامعى فى كل منها .

والمهم عنده أن ينتهى التقسيم إلى نظام واحد فى التعليم فلا يبقى للثنائية أثر بين كليات الجامعة الأزهرية وغيرها من الجامعات، ولا يحسب الفرق بينها جميعا إلا كما يحسب الفرق الآن بين كلية الطب وكلية الزراعة أو كلية الآداب .. ؟

فالهدف الذى يرميان نحوه ، وبيت القصيد عندهما هو تحقيق الوحدة الثقافية بين أبناء الأمة ، أو كما يقول الأستاذ العقاد : ألا يبقى للثنائية أثر بين كليات الجامعة الأزهرية وغيرها من الجامعات ؛ وتوحيد الثقافة أو إبطال الثنائية فى التعليم لا يتم فى رأيهما إلا إذا ألغى نظام التعليم فى المعاهد الابتدائية التابعة للازهر وحولت المعاهد الثانوية إلى مدارس ثانوية كنظام وزارة المعارف على النحو الذى رسمه قلم الأستاذ . فاذا رضى الأزهر أن يترك ست سنوات وهى نصف المدة المقررة لتأهيل الطالب لنيل الشهادة العالية (إذا ساعده الحظ ولم يرسب فى أثناء الطلب مرتين أو ثلاثا) وإذا تجاوز أيضا عن ست سنوات أخرى يقضيها الراغب فى دخول المعاهد الدينية فى حفظ القرآن الكريم وتبع ذلك أن يتجاوز عن اشتراط حفظ القرآن فى قبول الطالب بالمعاهد الأزهرية ، لأن القرآن لم تبق له أهمية ، ولم يعد ذا صلة بالعقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية ؛ إذا تجاوز الأزهر عن هذا طوعا أو كرها ، ورضى أن يجب نصفه وتدق رأسه ، كان الأزهر جديرا بالحياة حريا بالبقاء : فيحتفظ بقديمه ؟! ويشارك فى جديد الناس ويساهم فى شركة المدنية . وحينئذ يصير الطالب الأزهرى جديرا بأن يكون عالما حقا ، وأن تفتح له أبواب السماء فيجد مكانه من وظائف الحكومة كما يجد الطبيب والمهندس والضابط أمكنتهم فى كل ديوان يحتاج إليهم !

يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بُعْدَ إلا ما تواري الصفائح

أما إذا ظل الأزهر على تعصبه كما هى عادته ، وأبى له جموده أن يتنازل عن وجوده ، فإنه يكون غير صالح للبقاء وليس أهلا للحياة ؛ لأنه غير قادر على مسايرة الزمن فيجب أن يسلب اختصاصه ويعطى تراثه لمن هو أقدر منه على مسايرة الزمن والمشى مع القافلة ، فيكون تراث الأزهر نهبا مقسما بين كلية الحقوق ودار العلوم وكلية الآداب : تستقل الحقوق بالشريعة ، وتحمل دار العلوم لواء اللغة ، وتضطلع كلية الآداب بدراسة أصول الدين ؛ تدرسها على المنهج الجامعى فى التقصى والاستيعاب والموازنة .

وإذا حرك أزهرى ساكنا أو نبس ببنت شفة قيل له : صه ! لست هناك : لست فى العير ولا فى النفير ، إنما أنت شخص متبطل ، تنتمى إلى طائفة معاشية ، يربط بعضها بعض تحصيل المعاش؛ أو حاجتها هى إلى المعاش؛ فلا هى لنفسها ولا لله ولا للوطن.

لقد جربناك وجربنا أزهرك فلم نجد عندكم غناء ، ودعونا الأزهر للسير فى ركب الحياة فلم يستجب الداعين نداء ، وقال بهيرٌ قطيع . وسألته الأمة أن يمدها بشيوخ الدين والعربية فعجز ولم يستطع ؛ حتى اضطر أولو الأمر بسبب عجزه ، إلى طرحه ونبذه ؛ وأنشئوا دار العلوم لتخرج لهم أئمة فى علم اللغات ، وابتنوا مدرسة القضاء لتصنع لهم أئمة قادرين على تشريع ما يوافق الهوى والرغبات . فها نحن أولاء ندعوكم أيها الحمقى الجامدون والغلاة المتمردون لتختاروا إحدى خصلتين لكم فى كليتهما هدى وقصد وفلاح ورشد . وليستا كخصلتى الضبع إذ خيرت الثعلب بين أن تقتله أو تمزقه ؛ ولكنها خيرة فيها صلة للرحم ورعاية لذمامه وهى أقرب للعدل والتقوى ؟ أعرض عليكم لآخر مرة أن تختاروا واحدة من اثنتين : إما أن تقفلوا أنفسكم وتتبروا لفتكم

وتتخلوا عن دينكم وتتركوا من زمن دراستكم للغة والدين ست سنوات تقضونها فى دراسة اللغة والدين بالأقسام الابتدائية والثانوية بالمعاهد الدينية وذلك شيء يسير لايتجاوز نصف الزمن المقدر للدراسة فى الأزهر وفى المعاهد لنيل شهادة العالمية .

ثم لاتتشبثوا باشتراط حفظ القرآن فيمن تحدثه نفسه بالدراسة فيما يسمى كليات الأزهر فقد علمتم مما قدمناه لكم أن حفظ القرآن لم تبق له أهمية ، ولم يعد ذا صلة بالعقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية ، فسوف نكتفى ونستغنى عن كل ذلك بما دوّن فى الكتب الأخلاقية والقوانين المدنية .

فان لم تختاروا هذه ولم تطب نفوسكم بأن تتركوا جودكم وتقبروا بأيديكم لغتكم ودينكم ، فإنكم تكونون قد اخترتم الخصلة الثانية : وهى أن نقتلكم بأيدينا ، فنقطع الصلة بينكم وبين الأمة ، ونعلن البراءة منكم فى العالمين ، كما تبرأ الهنود من المنبوذين ، وحينئذ ترون العذاب ، وتتقطع بكم الأسباب ، وتغلق فى وجوهكم السبل والأبواب .

هذه هى النذر التى يراها الأستاذ الزيات ظاهرة فى الأفق ، رآها بما جعل الله له من نور يمشى به ، ويسعى بين يديه وبيمينه ، فأنذر الأزهريين (وهم قومه وعشيرته) أنذرهم ما يرصدهم فى الأفق من المصائب ، وحذرهم مايرتقبهم وينتظرهم من وخيم المواقب ؛ ونصح فأبلغ وأخلص فى النصح ، فجزاه الله من أخ وفى ، ومؤمن صادق أبى . ولقد أعذر إذ أنذر ، فعسى ألا نتمارى نحن الأزهريين بالنذر .

أما الخطتان اللتان عرضها للاختيار ، فإنها كما بينت ليس فيها حظ لمختار . وعسى أن يكون الله مدخراً خيراً منها للأزهر عنده .

يحيى رفات العظام باليـة والحق يا مال غير ما تصف

ولعله يرى بما أوتى من نور سبيلا لا حبا يصل منه الأزهر إلى النجاة والحياة .

وقد وددت لو أن فى الوقت سعة لأبين أن الأزهر قد أدى للأمة ما طلبته منه : فهو الذى أعطى الأمة دار العلوم فى خير عهودها إثماراً وإنتاجا حيث كانت تخرج أمثال حفنى ناصف وعبد العزيز جاويش . وهو الذى قامت على كواهل رجاله وعقول علمائه وعلومهم مدرسة القضاء . وهوالذى خرج للأمة بل للعالم الإسلامى عظماء العلماء والمفكرين أمثال المرحومين الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وأبى خطوة والطويل والبحيرى والشربينى وغيرهم ممن لايتسع الوقت الضيق لذكر أسمائهم . وإنه لم يضق ذرعا بما أدخل فيه من علوم نافعة فقد أوسع لها صدره حتى صار لايستطيع أن يتنفس بالمقدار الذى يحفظ كيانه وحياته التى تمكنه من أداء مهمته التى ينتدبها فى صدر مقالكم . ولعل الأزهر قد قصر فى حق نفسه من هذه الناحية .

وددت لو أن فى الوقت متسعاً للافاضة فى هذا ؛ غير أن حرصى على أن تدرك هذه الكلمة فى عدد الرسالة القادم هوالذى يحملنى على أن أختم الحديث باهدائك أكرم التحيات والسلام عليك ورحمة الله .

محمود أحمد الغمراوى

شيخ معهد دسوق والزقازيق سابقاً

وزارة الأوقاف

تشهر مزاد بيع ٨٩ أردب ذرة شامى محصول سنة ١٩٤٥ تحت العجز والزيادة ناتجة من زراعات الذمة بتفتيش البحيرة بجلسة يوم السبت ١١ مايو سنة ١٩٤٦ بمركز التفتيش بدمنهور من التاسعة صباحا إلى الساعة الثانية بعد الظهر فعلى من يرغب المشترى معاينة المحصول فى محل وجوده وحضور الجلسة فى الموعد المحدد ومعه تأمين ٢٠ ٪. وشروط البيع موجودة بالتفتيش والوزارة حرة فى قبول أو رفض أى عطاء دون إبداء الأسباب

٤٣٣